خطبة جمعة مفرغة

بعنوان

حلول الشدائد والكروب في الاستغفار من الذنوب

لفضيلة الشيخ
يحيى بن علي الحجوري
حفظه الله

مسجد إبراهيم شحوح سيئون
أبو عبد الله زياد المليكي
17 محرم 1445 هجرية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس: ثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى : يا ابنَ آدَمَ، إنك ما دَعَوتني ورَجَوتني غَفرتُ لك على ما كان منكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدَمَ، لو بلغتْ ذُنوبُك عَنانَ السماءِ، ثم استغفَرْتني غَفرتُ لك ولا أُبالي، يا ابنَ آدَمَ، إنك لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ خَطايا، ثم لَقيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا، لأتيتُكَ بقُرابِها مَغفِرةً".

الحديث من طريق كثير بن فائد، ولكن له متابعون، وللحديث شاهد من حديث أبي ذر في الصحيح، حديث قدسي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني لا يشرك بي شيئا غفرت له، الحديث...

ففي مثل هذه الأحاديث على أهمية الإستغفار، وأن أهم حل للشدائد والكرب هو الإستغفار، فالبلاء علينا معشر الأمة من أنفسنا، لأن الله عز وجل يقول:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (30)}[الشورى:30]

فكل مصيبة تصيبنا سواء كانت في ديننا لقصور فينا وضعف فينا، أو في دنيانا لذلك أيضا لمعاصينا وذنوبنا في كل حال، البلاء علينا منا، وقد قال الله سبحانه وتعالى:{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45)}[فاطر:45].

وفي الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه:" يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم.

فذكر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل المرض والدواء، وأنه حاصل منا الذنوب ليل نهار، ولكن بلسموا تلك الذنوب ودواؤها وشفاء مرضها بإذن الله عز وجل هو الإستغفار، فإن سنة الله الجارية أن الله لا يعذب من استغفر، قال الله عز وجل:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)}[الأنفال:33].

وهذه عامة ليست خاصة بقريش وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون فإنهم منهم من يقول سيستغفرون سيتوبون، بل هي عامة أن الله لا يعذب من استغفر بنية صادقة ورجع إلى ربه، حتى قوم يونس لما علم الله صدق استغفارهم وتوبتهم ما عذبهم:{

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (98)}[يونس:98].

سنة الله الجارية أنه لا يعذب من استغفر، وقال الله سبحانه وتعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ

فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45)} أي فريقان كافر ومؤمن، والكفار أكثر{قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46)}فرحمة الله ولطف الله وفضل الله على العباد يحصل عليهم ما داموا مستغفرين لربهم، أما إذا لجوا في عتوهم فإن عذاب الله شديد، قال الله سبحانه وتعالى :{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75)وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76)حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (77)}[المؤمنون:75،77].

إن الاستغفار حلول شدائد عظيمة في الدنيا، وهو كذلك في الآخرة من باب أولى، قد أبان الله عز وجل ذلك على لسان نبيه نوح عليه الصلاة والسلام أنه لما دعا قومه قال:{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10)}

أي إذا استغفرتم الله عز وجل زالت عنكم هذه الشدائد التي أنتم فيها، شدائد الغفلة، شدائد القسوة، شدائد الإعراض، شدائد نقمة الله عليكم التي ستحصل بكم،{إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10)} ثم أبان لهم أيضا عن شدائد أخرى تزول بالاستغفار:{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11)} كم ترون من الناس الآن من تلهف إلى حصول الأمطار، وإلى السيل المدرار، وربما إذا طال أمد بالناس ولم ينزل المطر غارت الآبار، وجفت الأنهار، ويبست الأشجار، وهلكت المواشي، وانقطعت السبل، وحصل للناس من الشدائد ما الله به عليم، ولكن هذه الشدة على الناس تزول بإذن الله عز وجل بإقبال الناس على طلب مغفرة ربهم، :{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10)يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11)} هذه شدة تزول بالاستغفار، والشدة الثانية أيضا:{وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ} الذي فقير منكم أو يحتاج إلى مال فإن المال يتحصل بذهاب الذنب، قد يصاب الإنسان بالبلاء أيضا بالذنب يصيبه، فإن العبد ليحرم الرزق

بالذنب يصيبه، الحديث.

قال الله :{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)} [الأعراف:96].

قال:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65)وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم}[المائدة:65،66].

فأبانا الله عز وجل أنه لو سلم الناس من المعاصي اتقوا الله وجانبوا معاصيه لحصل لهم الخير قال:{ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (16) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}[الجن:15،16].

فمن المعنيين أنهم لو استقاموا لاسقاهم الله لاطاعوا الله وكان عليهم فتنة وبلوى لهم ليعلم المصلح من المفسد، ومن المعنى الآخر وأن لو استقاموا طريقة الكفر لابتليناهم ولا استدرجناهم بمزيد من النعم، والمعنيان صحيحان ، كل منهما تؤيده أدلة، هذا يدل على أن نعم الله التي الناس يرغبون فيها ويتطلعون لها حاصلة لهم إن هم تخلصوا من الذنوب جنبوها أو استغفروا الله منها، فإن الله يمدهم بالأموال، وهذا التهالك من الناس على الأموال والتدافع والتهاتر لأنهم عموا عن طريق الصواب وعن التخلص من هذا الذي يعني هم فيه، فلو أن الله وفقهم لطاعته لأسبغ عليهم نعمه مزيدا على ما هم فيه، ويمددكم بأموال وبنين أيضا، ويمددكم بأموال ويمددكم ببنين إضافة إلى الأموال أولاد، فإذا أردت من الله سبحانه وتعالى نعما أقبل على طاعته، المطر ينزل، والمال يزداد، والولد يحصل بفضل الله سبحانه وتعالى، وكل هذا على الله يسير، ويجعل لكم جنات جنات، جنات يجعل لكم جنات أي بالأمطار والنعم التي يغدق بها للعباد، ويجعل لكم

أنهارا، نبي الله نوح أخبرهم على أن الاستغفار به سعادهم الأبدية الدنيوية والأخروية، هذه الآيات تضمنت مغفرة الذنوب وسعادة الدارين.

مما يدل عباد الله على أهمية العناية بالاستغفار حتى يعيش الإنسان في هذه الحياة بعيدا عن الأضرار والأخطار، نظير وصية نوح لقومه ودعوة نوح أيضا دعوة هود:{ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} ما النتيجة، ما الثمار ؟ قال : {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ} عاد كانوا أقوياء، قوم هود عاد،، كما قال الله سبحانه :{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8)} ومع ذلك مع هذه القوة ومع أنهم كانوا يبنون بكل ريع يعبثون ولو أنهم أطاعوا الله لثبت لهم تلك النعمة وزادهم منها، {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)}[إبراهيم:7].

فهو يقول : ويزدكم قوة إلى قوتكم، أنتم أقوياء لكن تثبت لكم هذه القوة وتزدادون قوة ولا تتولوا مجرمين، فقد أمرهم بالإقبال على الله والحذر من الإعراض والتولي والإجرام الذي ينتج عن ذلك سلب النعم،{ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ}[الأنفال:53].

ولما لم يستجيبوا أهلكهم الله،{قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (136)إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ}

فصاروا لا مال ولا قوة ولا أيضا نعم أمطار ولا شيء من ذلك الهلكة والدمار.

إن أمر الاستغفار وقاية أيضا من أخطار الآخرة وما يقدم عليه الإنسان، فإن الأخطار في الدنيا أهون، لكن الاستغفار من مات عليه ولقي الله عز وجل به مغفورا له :{سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21)}[الحديد:21].

فأمر الله بالمسارعة إلى مغفرة الله، وأنه غفور رحيم، قال{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136)}[آل عمران:135،136].

فأبانا ربنا سبحانه وتعالى أنه مهما ظلم نفسه مهما اقترف من الذنوب كما جاء في الحديث، مهما ظلم نفسه ولقي الله عز وجل وهو تائب إليه مستغفر من ذنوبه فإن الله يغفر له، وفي حديث شداد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" سيد الإستغفار أن تقول: اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها في النهار موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة.

والله هذا حل مشكلة عظيمة وكبيرة، هذه حل شدة أن يلقى الإنسان ربه بعد هذا الاستغفار فيدخل الجنة، وهكذا ومن قالها في المساء موقنا بها فمات من من ليلته دخل الجنة، وحديث ابن عباس رضي الله عنه من طريق الحكم بن مصعب فيه جهالة لكن يندرج تحت قول الله عز وجل:{ فقلت استغفروا ربكم} الآية وقول الله عز وجل:{ويا قوم استغفروا ربكم} أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا.

أي هم أنت فيه يفرج الله عنك ، وفعلا :{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ} الآية.

فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا إلى آخرها، وكل هذه تدل على الفرج من الشدائد مهما كانت، وحديث أنس إلا لقيتك بقرابها مغفرة، دل هذا على أصل أصيل لحديث ابن عباس رضي الله عنه من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، ونظيره حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" من قال استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه.

انظر كلمة قصيرة استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه ولو كان قد فر من الزحف.

معناه وقع في كبيرة من كبائر الذنوب فاستغفر الله وجل تغفر ذنوبه، وما ذلك على الله بعزيز، ولو لقي الله بقراب الأرض ذنوبا، وقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال:" يا معشر تصدقن وأكثرن من الاستغفار ما السبب؟ قال : فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فدلهن على التخلص من هذه الشدة التي سيقدمن عليها، وأن هذه الشدة الخلاص منها الاستغفار، الصدقة والاستغفار، والصدقة من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، قالت امرأة ما لنا يا رسول الله؟ قالت تكفرن العشير وتكثرن اللعن.

فكان بلسم هذه الذنوب كفران العشير، ومع ذلك أيضا يعني كثرة اللعن، وما رأيت منك خيرا قط، وغير ذلك أنها تعالج ذلك بالاستغفار فإن الله هو الغفار سبحانه وتعالى، ولهذا كان الاستغفار ديدن أنبياء الله ورسله ديدنهم، فلا أحد أكثر استغفارا منهم على الإطلاق، فليس الاستغفار فقط في حق الذنوب والخروج من الشدائد والتخوف بل إنه ولو كان مع استقامة الحال فإن الاستغفار مطلوب ومأمور به، قال الله

سبحانه:{حم (1) تنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (6)}[فصلت:1،6].

فكان وحي الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الأمور، أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد، الله أوحى إليه أنه لا شريك له سبحانه وتعالى، وأوحى إليه أن يأمرهم بالاستغفار وبالاستقامة على دينه، فاستقيموا إليه واستغفروه، كل ذلك مما أوحاه الله على نبيه أن يبلغه الأمة، توحيد الله، والحذر من الشرك، والأمر بالاستقامة على دينه وشرعه، والأمر بالاستغفار، وأن يأمرهم بالاستغفار على أي حال، استقيموا إليه واستغفروه، وهكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله مع توحيده وإقامة توحيده حتى وإن كان في ذروة من المموحدين أن يستغفر:{فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك} ومن المعلوم أن من حقق التوحيد كان من الآمرين الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون، ولكن مع ذلك الاستغفار مطلوب لأننا نخطئ بالليل والنهار في جناب رب العالمين، عرفنا أو جهلنا، اللهم اغفر لجدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي، كما قال عليه الصلاة والسلام اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير، أمره الله بالاستغفار، ونبي الله موسى عليه الصلاة والسلام لما حصل منه ذلك الذين النصرة للمستغيث به {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ

مُبِينٌ (15)قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16)قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17)}

ونذر لله نذرا أنه لا يكون معينا لأي مجرم بعد ذلك، فهذا تظمن النذر والالتزام، فلن أكون ظهيرا للمجرمين، لأنه تاب الله عليه وغفر له، وإنما ذلك كان وكزه هو كان قتل شبه عمد ونصرة لمن استغاثه، نفس لم يؤمر بقتلها وإن كانت كافرة، وهكذا نبي الله داود عليه الصلاة والسلام لما أتاه الخصماء في تلك القضية:{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) } أي رجل يريد أن يأخذ مالي إلى ماله ليس لي من المال إلا هذه هذا هو الصحيح فأرادها مني ولا يزال يلح علي أن يأخذ مني مالي،{قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ }

هذه الإجابة إجابة للمدعي قبل السماع من المدعى عليه، فلما علم أنه لم يأتي المدعى عليه قال:{وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24)} فهذا أصل من الأصول في سماع الدعوة من المدعي والمجيب، وعدم القضاء على دعوى المدعي قبل سماع الإجابة، وإنما الشاهد أن داود عليه الصلاة والسلام لما شعر أن هذا ابتلى من الله قابل ذلك بالاستغفار،{فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (25)}.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله ومصطفاه ومجتباه، أما بعد أيها الناس: وصف الله المؤمنين بأوصاف كثيرة من أنبيائه ورسله ومن بعدهم، ومن تلك الأوصاف كثرة طلبهم للمغفرة، وإلحاحهم على الله سبحانه وتعالى بطلب المغفرة، راكعين ساجدين في سائر الأحوال، فعند فتح مكة بعد ذلك النصر قال الله عز وجل:{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)}[النصر:1،3]

أي قابل هذه النعمة واعلم أنه دنو أجلك قابل هذه النعمة بالاستغفار، ونظيرها أيضا لما أمر الله عز وجل بالاستغفار نزولهم من عرفة بعد عمل الحج :{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (199)} بعد عبادة عظيمة وهي الحج والحج عرفة، وهكذا بذكر الله عند المشعر الحرام وبالاستغفار، وأمر النبي صلى الله عليه وفعل ذلك أيضا في الاستغفار دبر الصلوات، كان إذا انصرف من صلاته قال: استغفر الله استغفر الله استغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

وهكذا ما من حال يكون فيه رسول الله وسلم ولا مجلس يجلس فيه إلا والاستغفار هو السائد في ذلك المجلس، قال ابن عمر رضي الله عنه: كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد ربي اغفر لي وتب علي مئة مرة، مجلس واحد، وقال عليه الصلاة مبينا أنه ليغان على قلبي فأذكر الله فيذهب ما بي، هذا وهو مجرد غير طائف لا يأثر عليه، أما نحن فقط تحصل قسوة وقد تحصل غفلة وقد يحصل شدائد على القلوب لا يتخلص منها الإنسان إلا بمزيد من الاستغفار سائر الأحوال، فأمر الاستغفار أمر لا بد منه أمر الله سبحانه وتعالى به أنبيائه، وسار أنبياؤه على ذلك وهو مخرج عظيم من الفتن والشدائد،

فإننا والله في أزمنة أحوج ما نكون إلى الاستغفار من غيره، وقد فضل شيخ الإسلام رحمه الله الاستغفار على عديد من الأذكار، فسألوه عن الاستغفار فيما يتعلق أو التسبيح قال: التخلية قبل التحلية، ومعنى ذلك على أنك تستغفر وتخلص من ذنوبك وبعد ذلك سبح واحمد الله، والذنوب كثيرة قال الله سبحانه وتعالى:{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (64)}[النساء:64].

هذا شأنهم عليه الصلاة والسلام أنبياء الله ورسوله، وهكذا أيضا المؤمنون :{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)}[البقرة:285].

هذا شأنهم {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)} قال الله عز وجل: قد فعلت، وفي هذا استغفار عظيم للمؤمنين وصفة أثنى الله عز وجل بها علىيهم، وذم النبي صلى الله عليه وسلم ابن جدعان أنه لم يستغفر مع ما فيه من المكارم مكارم الأخلاق مثل كرام الضيف ومثل يعني أمور أخرى قالوا هل ينفعه ذلك إنه كان يصل الرحم ويقري الضيف أو نحو ذلك، قال: إنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، فلا ينفع المعرض عن الاستغفار لله سبحانه وتعالى أي عمل، ولهذا لا يجوز الاستغفار لأي ميت على الشرك، لا يقبل الله الاستغفار فيه، كما قال الله سبحانه :{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113)وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ

وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114)}[التوبة:113،114]

وقال النبي عليه الصلاة والسلام:" استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي، واستأذنته أن استغفر لها فلم يؤذن لي، فالاستغفار للمشرك لا يجوز، إنما الاستغفار من نعم الله عليك أيها المسلم أن تستغل هذه الفرصة بما أتاك الله من إيمان وتزداد من الخير وتدفع الشرور في الدنيا والآخرة بذلك، والحمد لله رب العالمين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.